Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وابحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

# أسرة هان الملكية ( 206 ق.م – 220م) ودورها في التبادل التجاري والثقافي عبر طريق الحرير إلى البحر الأبيض المتوسط

# The Han royal dynasty ( 206 BC. 220 A.D) and its role in the trade and cultural exchange through the Silk Road to the Mediterranean Sea

أحمد ثليجي Telidji Ahmed
أستاذ محاضر "أ"، جامعة زيان عاشور الجلفة – الجزائر-
**Ziane Ashour University – Djelfa- Algeria**
a.telidji@univ-djelfa.dz

تاريخ الاستلام: 18 – 08 - 2023 تاريخ القبول : 18- 03- 2024

**الملخص:**

يعتبر طريق الحرير أحد أعظم الطرق في العالم، ليس لأنه طريقا تجاريا فحسب، بل لأنه طريق لتبادل الأفكار والثقافات، وانتقال التقنيات كالكتابة والعجلة والنسيج وغيرها... بل إنه طريق لانتشار الديانات وانتقالها كالبوذية والكونفوشيوسية والزرادشتية والمسيحية والإسلام، وقد أشارت المصادر إلى أن التاريخ المتعارف عليه لبدأ السير في طريق الحرير هو سنة 105 أو 115 ق.م، ففي ذلك الوقت سار الصينيون حتى منتصف الطريق عبر آسيا ليربطوه بطريق مشابه يسير من البحر المتوسط إلى وسط آسيا. ولكن الواقع يقول أن ذلك الطريق أقدم من ذلك بكثير وربما يعود إلى ما لا يقل عن ألفي سنة قبل الميلاد .

وقد كان طريق الحرير من أبرز الإنشاءات التي تمت في عصر سلالة هان الحاكمة (206 ق.م – 220 م) ليصبح طريقا سياسيا ودبلوماسيا وثقافيا ولم يكن الهدف منه في البداية تجاريا، بل كان من أجل إقامة علاقات ودية بين الجهات الغربية وكافة دول آسيا الوسطى، رغم أن هناك آراء أخرى ترى أن سبب إنشاء هذا الطريق هو تجارة الحرير.

ومهما يكن من أمر فإننا سنحاول في هذه الورقة البحثية أن نعالج إشكالية هامة تتمثل في أهمية التبادل التجاري والثقافي عبر طريق الحرير وصولا إلى البحر الأبيض المتوسط في عهد أسرة هان الملكية (206 ق.م– 220 م).

**الكلمات المفتاحية**: أسرة هان.، طريق الحرير.، التبادل التجاري.، التبادل الثقافي.، الصين.

**Abstract:**

The Silk Road is considered one of the greatest roads in the world, not only because it is a trade route, but also because it is a way of exchanging ideas and cultures, and the transfer of technologies such as writing, wheel, weaving and others... Rather, it is a way for the spread and transmission of religions such as Buddhism, Confucianism, Zoroastrianism, Christianity and Islam, and sources have indicated that the generally accepted date for the beginning of the Silk Road is the year 105 or 115 BC. At that time, the Chinese walked halfway across Asia to connect it with a similar route going from the Mediterranean to Central Asia. But the reality is that the route is much older and probably dates back at least two thousand years BC .

The Silk Road was one of the most prominent constructions carried out in the era of the Han Dynasty (206 BC -220 AD) to become a political, diplomatic and cultural route, and its purpose was not initially commercial, but in order to establish friendly relations between Western parties and all Central Asian countries, although there are other opinions that the reason for the creation of this route was the silk trade.

However, in this paper, we will try to address an important problem of the importance of trade and cultural exchange through the Silk Road to the Mediterranean during the Han Dynasty (206 BC– 220 AD).

**Keywords:** Han Dynasty; The Silk Road; Commercial exchange; Cultural exchange; China.

**مقدمة:**

لقد اعتاد البشر منذ القدم على التنقل من مكان لآخر وإقامة علاقات تجارية مع جيرانهم من الأقوام أو حتى مع البعيدين عنهم، وذلك لتبادل السلع والمهارات والأفكار والثقافات وحتى الديانات، وقد كانت التجارة سببا في إحياء أراض موات وازدهارها، وأسّست على تلك الطرق التجارية المدن والحواضر، كما أنشئت الموانئ وبنيت السفن، وتطوّرت المراكب، وكانت الحضارة الصينية إحدى الحضارات القديمة التي عرفت تطورا كبيرا في هذا المجال، ولا شك أن طريق الحرير الذي نحاول دراسته في هذه الورقة البحثية أحد أهم هذه الإنجازات التي أبدع فيها الصينيون قديما، ولا زالوا إلى اليوم يحاولون ذلك فيما يسمى بمبادرة الحزام والطريق.

وعلى مدى عشرات القرون كان الاتصال الرئيسي للصين بالعالم الخارجي عبر المحور الشمالي الغربي على طول سلسة من الواحات التي تحف صحراء جوبي وحوض نهر تاريم، وتؤدي عبر آسيا الوسطى إلى منطقة البحر الأبيض المتوسط.

وقد كان طريق الحرير من أبرز الإنشاءات التي تمت في عصر سلالة هان الحاكمة (206 ق.م – 220 م) أو على الأقل أنه قد تطوّر كثيرا في عهدها، ليصبح طريقا سياسيا ودبلوماسيا وثقافيا، ولم يكن الهدف منه في البداية تجاريا، بل كان من أجل إقامة علاقات ودية بين الجهات الغربية وكافة دول آسيا الوسطى، رغم أن هناك آراء أخرى ترى أن سبب إنشاء هذا الطريق هو تجارة الحرير.

ومهما يكن من أمر فإننا سنحاول في هذه المداخلة أن نعالج إشكالية هامة تتمثل في أهمية التبادل التجاري والثقافي عبر طريق الحرير وصولا إلى البحر الأبيض المتوسط في عهد أسرة هان الملكية (206 ق.م- 220م).

**1- أسرة هان الملكية (206 ق.م- 220 م):**

لقد دام حكم أسرة (تشين)[1] التي سبقت أسرة هان حوالي 50 عاما فقط، حيث لم يستتب النظام في الامبراطورية إلا لسطوة شخصية "تشين شيه هوانغ" التي أشرنا إليها في الهامش، لذلك كان موته سنة 210 ق.م نذيرا لقيام الثورات، واشتعال الاضطرابات السياسية التي دمّرت البلاد في فترة لا تتجاوز بعض السنوات[2].

وقد كانت الغاية من العصيان العام في سنة 209 ق.م، وهي السنة التي سبقت موت "تشين شيه هوانغ"، هي إعادة النظام القديم، وتلا نجاح الثائرين في تصفية نظام تشين خلاف فيما بينهم على الأسلاب، وقد كان أقوى المطالبين "هسيان يو" ، وهو أرستقراطي من دولة تشو السابقة، وقد اقترح "هسيان يو " أن يولي حفيد من أحفاد الأسرة المالكة بحيث يكون امبراطورا اسميا للصين كلها، على أن يكون هسيان يو القوة خلف العرش الإمبراطوري، لكن الفائز في الحرب الأهلية كان ليو بانج وهو جندي مغامر من الحوض الأدنى لنهر هواي[3].

وكان "ليو بانج" مؤسس أسرة هان الحاكمة الجديدة من أصل ريفي، وكان موظفا حكوميا مسؤولا عن جماعة من المحكوم عليهم قبل قيام الثورة، وحدث أن هرب المحكوم عليهم فصار عرضة لعقوبة الإعدام وككثيرين غيره فرّ ليو بانج من الخدمة وأصبح زعيما لإحدى جماعات الثوار، وحصل على أول لقب له كملك لـ (هان) عام 206 ق.م. وهو العام الذي استولى فيه على العاصمة، وأنهى حكم أسرة (تشين) الحاكمة[4].

وقد اتجه شعب الصين –ما عدا بعض الأقليات- لأن يطلق على نفسه شعب (هان)، ورغم ذلك فلم يحدث إلا في عام 202 ق.م أن تغلّب ليو بانج على خصمه، وكان السبب في انتصاره يرجع إلى قسوة خصمه، وكذلك سياساته التي كانت تحظى بشعبية وما كان يمتلكه من صلاحيات القيادة، واتخذ ليو بانج لقب الإمبراطور(كاو-تسو)، عندما بسط نفوذه على المملكة الوسطى بأسرها[5].

وكان يجب على ليو بانج أن يكافئ أعوانه رفقاء السلاح عن طريق منحهم قطع أراضي، وكان عليه أن يرضي الشعور العام بإحياء بعض الممالك التي صفّيت، إلا أنّه احتفظ بالأراضي القديمة لدولة تشين الواقعة "بين الممرّات" تحت حكمه المباشر، واتخذ عاصمة له في تشنغ- تشاو، وقد كانت على مقربة من الموقع الذي ستقوم عليه تشانغ- آن، ولكن على ضفة نهر واي المقابلة للعاصمة الأخيرة لدولة تشين.

ولأن الحكومة الإمبراطورية أخذت تتولى بنفسها تدريجيا الإشراف المباشر للإدارة المحلية لرقعة واسعة، فقد قامت مشكلة تتعلق بكيفية الحصول على موظفين للإدارة

الامبراطورية، حيث أن العودة إلى الأسلوب الذي كان متبعا في تشين غير ممكن. لأن موظفي "تشين شيه هوانغ" كانوا هم السبب في العصيان والتمرد الذي حدث في سنة 209 ق.م بسبب سوء تصرفهم، ولذلك قام الثوار بتصفيتهم كما أشرنا إلى ذلك.

ومنذ اقتحام ليو بانج عاصمة أسرة تشين وقيامه بإعداد اتفاقية من ثلاثة فصول للعمل بالمذهب الطاوي[6] من أجل تخفيف حدّة قسوة ووحشية حكم تشين حتى السنوات الأولى من حكم الإمبراطور "وو" الذي بدأ توظيف الكونفوشوسيين[7] لخدمة حكمه، كان هناك خمسة أباطرة هم: جاو، و هوى، و وو، و وون، و جنغ، دام حكمهم ستين عاما ونيفا (206-141 ق.م)، واعتنقوا المذهب الطاوي بصفته الإيديولوجية الاسترشادية لحكم الشعب[8].

ويعد المفكر لو قو Lu Gu (240-170 ق.م) من مواطني مملكة تشو وعمل مستشار للإمبراطور ليو بانج، وساعده في توحيد البلاد، وألف كتاب " رسالة جديدة" لخص فيه الأسباب الكامنة وراء انهيار أسرة تشين ونجاح أسرة هان نال إعجاب واستحسان الإمبراطور ليو[9].

واستطاع هذا المفكر أن يقنع الإمبراطور ليو بانج أن السياسة المضادة لأسرة تشين السابقة ليست عملية، حيث في سنة 197 ق.م أمر الإمبراطور السلطات في كل قيادة عسكرية، وكل مملكة أن تبعث بالطلاب الصالحين للعمل في الإدارة المدنية الإمبراطورية إلى تشنغ- تشاو، لاختيار المناسبين بعد امتحان غير رسمي.

وبعد سنة 191 ق.م أعاد العلماء الكونفوشيوسيون وضع خمسة كتب كلاسيكية، كان المعروف أن كونفوشيوس نفسه قد حرّرها وأقرّها، وقد رسم الإمبراطور هان - وو - تي حكم ما بين (140-87 ق.م) أنه يتحتم على كل من يرغب في الحصول على منصب في الحكومة أن يتقن الكتابة بأسلوب الكتب الكونفوشوسية الكلاسيكية، وأن يعرف كيف يفسّر فلسفة كونفوشيوس، وأن يجيز ذلك علماء كونفوشيوسيون[10].

وعندما استتبت الأوضاع الداخلية لأسرة هان الحاكمة، عملت على تنشيط السياسة الخارجية حيث أرسل الإمبراطور هان- وو- تي جيوشه نحو الغرب ليسيطر على طريق تجارة الحرير – الذي سنأتي على ذكره لاحقا- والذي يصل الصين بالبلدان الغربية، وقد وصلت تلك الجيوش إلى أوزباكستان وطاجاكستان في الغرب، وفي الشمال احتلت قسما من كوريا، وفي الجنوب الشرقي احتلت قسما من الهند الصينية[11].

لكن تلك السياسة التوسعية تطلبت الأموال الكثيرة التي وقعت على عاتق الطبقات الكادحة، وأدت زيادة الضرائب من جديد إلى استياء عام، وقد استغل تلك الأوضاع مدّع اسمه فان- مان (9-25 م) الذي كان وصيا على أحد الأباطرة الصغار من أسرة هان ومن ثمّ اغتصب العرش الإمبراطوري[12]. حيث عمل من أجل تقوية مركزه على تحسين الأوضاع السيئة لعدد من فئات الشعب، ومنع بيع الأراضي والعبيد، فتحول العبيد إلى فلاحين تابعين لأسيادهم، كما حدّد الملكية الزراعية، وأمر بتوزيع الأراضي الزائدة على الذين لا يملكون الأراضي. بالإضافة إلى ذلك عمل على إصلاح التجارة، وتحديد أسعار السوق، وإعطاء القروض النقدية، لكن الاستخدام السيئ، وطمع موظفيه في الرشوة أدى إلى فشل تلك الإجراءات مما اضطره إلى تغيير العملة وزيادة الضرائب، مما أدى إلى يأس الجماهير الكادحة، حيث فقدت الأمل في إصلاحاته وفي صراعه مع الموظفين الجشعين، فقتلته في سنة 23م.

بعد ذلك قامت ثورة شعبية تزعمها فان تشون تدعى ثورة "ذوي الجفون الحمراء" لأن قائدهم أمرهم أن يصبغوا جفونهم باللون الأحمر كعلامة مميزة[13]. ورغم نجاح تلك الثورة الشعبية، إلا أن أحد فروع أسرة هان استطاع استغلال الثورة في صالحه، واستلم العرش الإمبراطوري "ليو- سيو " وأسس أسرة هان الصغرى التي حكمت بين سنتي (25-220م)، وقد عمل جملة من الإصلاحات منها تحرير العبيد وتخفيض الضرائب، وبالتالي عاد الثوار الفقراء إلى منازلهم وانتهت الثورة[14].

وبدأ بعد ذلك عصر صيني زاهر حيث أعيد السلام إلى بلاد التونكين، وأخضع الهون في منغوليا الداخلية، وثبّتت الحماية الصينية على واحات تركستان اثر غزوات القائد بان تشاو المظفرة وقد انتهت سنة 94م، وهكذا انفتحت الطريق نحو الغرب، واستطاعت الصين بواسطة الخيول المدرّبة والمحطات المتعدّدة أن تتصل مع أفغانستان والهند وإيران والشرق الروماني، وكان الإمبراطور تراجان (97-117 م) قد أوصل تأثير روما في آسيا إلى الأوج، وستغدو هذه الطريق "طريق الحرير" جالبة للثروة لمدة قرون عدة على البلاد التي استطاعت أن تسلكها، وأصبح لها علاوة على ذلك أعظم الأثر الثقافي والفلسفي[15].

وفي أواخر عصر أسرة هان جلس على العرش جماعة من الأباطرة الضعاف خلف بعضهم بعضا وانتهى بهم عهد هذه الأسرة، وأعقب ذلك عهد من الفوضى حكمت في أثنائه أسر خاملة ، انقسمت البلاد في أيامها إلى دويلات متعدّدة. وتدفّق التتار على البلاد، ولم يصدّهم عنها السور الكبير، واستولوا على مساحات واسعة من أجزائها الشمالية، وكانت غارات هؤلاء التتار سببا في اضطراب حياة الصين والقضاء على حضارتها النامية[16]. في حدود سنة 220م.

2- **طريق الحرير:**

يعتبر طريق الحرير نافذة تواصل الصين مع العالم، كما يعتبر من عناصر التراث الحضاري العالمي ليس لكونه طريقا تجاريا فحسب، بل لأنه ربط عالم الشرق بالغرب دبلوماسيا وثقافيا وفكريا ودينيا. وقد عاش هذا الطريق سنوات من الحركة والنشاط، وأخرى من الكساد والانقطاع، ومن أحسن أيامه ازدهارا ما كان في عهد أسرة هان.

وإذا ما أردنا معرفة أصل تسمية طريق الحرير، فإنه في سنة 1877م صدر كتاب "الصين" لعالم الجغرافيا الألماني فرديناند فون ريشتهوفن، ليستعرض فيه خط طريق الحرير التجاري الرابط بين الصين والمنطقة الواقعة بين نهري أمودريا (جيحون) وسيرداريا (سيحون)، والتي سمّيت فيما بعد بمنطقة (خه جيان) من جهة، والهند من جهة أخرى، وذلك خلال الفترة ( 114 ق.م- 127م)، وأطلق على هذا الطريق اسم " Seiden Stra Ssen " وبالإنجليزية " Silk Road"، وتترجم إلى الصينية فيما يعني "طريق الحرير" وهي المرّة الأولى التي يظهر فيها ذلك المسمّى، وفي عام 1910، قدّم كتاب "طريق الحرير القديم بين الصين وسوريا" للباحث الألماني "أربارت هيرمانA. Herrmann" المزيد من التفصيل والشرح، كما بيّن امتداد طريق الحرير في الماضي ليصل إلى سوريا، والآن أصبح "طريق الحرير" مسمّى عاما يطلق على الخط الواصل بين الصين القديمة وآسيا الوسطى، وغرب آسيا، والمار عبر البحر الأبيض المتوسط (بما يشمل الطريق البري) ليربط بين قارة أوربا و شمال قارة إفريقيا، وأطلق الناس عليه كذلك اسم "طريق الحرير الصحراوي" أو "طريق الحرير المار عبر الواحات" وذلك بسبب مروره الإجباري في مسارات قطاعات صحراوية في الصين وآسيا الوسطى، وغرب آسيا، ومناطق أخرى[17]. (انظر الشكل-1- الخريطة).

وهذا الطريق هو الذي سار عليه الغزاة والفاتحون، كالإسكندر الأكبر، والرومان والفرس، وجيوش الفتح الإسلامي، وجحافل جنكيز خان وهولاكو، وتيمور لنك، وحمل هذا الطريق الدعاة والمبشرين البوذيين، واليهود والمسيحيين والمسلمين، وعليه سار الرحالة العظام أمثال شيان تسونغ وابن بطوطة وماركو بولو الذين لولاهم لما عرفنا كيف كان حال الطريق في العصور التي عاشوا فيها[18].

ويمكن القول أن مصدر معلوماتنا عن طريق الحرير يعود إلى علم الآثار في العصر الحديث، وتعتبر طرق الحرير "خطا واحدا"، هذا الخط لا يمكن رؤيته الآن، ومن هنا وجب التساؤل .. كيف بإمكاننا معرفة ما إذا كان هذا الخط موجودا في العصور القديمة؟. يتكون هذا الخط من مئات آلاف النقاط التي تمكّن علماء الآثار من خلالها اكتشاف وجود طرق الحرير، والتي تتصل بالعديد من الطرق المدفونة تحت الأرض أو المغمورة تحت الماء.

وقد امتدت شبكة طرق الحرير في البداية برا من الشرق إلى الغرب لتصب في طريقين كبيرين لتتناسب مع ظروف الطقس، أحدهما شمالي يسلكونه في الصيف، وجنوبي يسلكونه في الشتاء، فكانت الطرق تمر بأفغانستان وأوزبكستان وإيران غربا، والطريق الآخر يمر بباكستان وكابول الأفغانية حتى رأس الخليج ليصل بعد ذلك إلى إيران وروما[19]. يضاف إليها طريق الحرير البحري.

وسنحاول أن نسلط الضوء على هذه الطرق، التي ترى الأوساط الأكاديمية أن أهمها يتمثل في طريق المراعي المنغولية، وطريق الحرير الصحراوي، وطريق الحرير الجنوبي ، وطريق الحرير البحري ، ويرجع سبب تعدّد طرق الحرير إلى اختلاف سماتها الزمانية والمكانية، كما يلعب كل منها دورا تاريخيا مختلفا عن الآخر.

ويبدأ طريق المراعي المنغولية شرقا من جبال خينجان الكبرى داخل الحدود الصينية، وحتى منطقة شينجيانغ الصينية غربا، كما يمتد غربا اتجاه جنوب سيبيريا، وشمال منطقة آسيا الوسطى، وقد بدأ الناس استخدام هذا الطريق قديما قبل 4-5 آلاف عام، ويعتبر طريق المراعي المنغولية طريقا للتبادل الثقافي بين الأمم المختلفة[20].

أما طريق الحرير الصحراوي فهو المعروف بمسمى طريق الحرير المستخدم في وقتنا الحاضر، والذي يبدأ منذ فتح الجنيرال "جانغ تشيان"[21] للمناطق الغربية، ويبدأ هذ

الطريق من مدينة شيآن بمقاطعة شانشي، ويعبر كل من مقاطعة قانسو، ومنطقة شينجيانغ، ليخرج من الحدود الصينية ويمر بمنطقة آسيا الوسطى، وحتى مدينة البندقية الإيطالية جنوب أوربا، ويمتد طوله من الشرق إلى الغرب مسافة 7000 كلم، ويبلغ طوله داخل الحدود الصينية 4000 كلم.

ويعود تأسيس طريق الحرير الصحراوي إلى أسرة هان الغربية التي شقّته رسميا ليعتبر طريقا سياسيا و "دبلوماسيا"، وفي ذلك الوقت كان كل من "التبادل الثقافي" و"الحراك التجاري " هما المنتجات الثانوية لأسرة هان، كما جعل الجنرال جانغ تشيان هدف المناطق الغربية متمثلا في إقامة علاقات ودية بين المناطق الغربية (منطقة شينجيانغ حاليا)، وكافة دول منطقة آسيا الوسطى، كما أبدى حكام المناطق الغربية رغبتهم في التخلص من حكم الهون، والدخول تحت راية حكم أسرة هان الملكية.

ويطلق على طريق الحرير الجنوبي الغربي طريق "سيتشوان الهند"، أو طريق الحرير الجنوبي، ويبدأ هذا الطريق من مدينة تشينغدو بمقاطعة سيتشوان جنوب غرب الصين، ويعبر خلال عديد المدن الصينية الواقعة في مقاطعة يونان، ليصل بعدها إلى مدينة بامو داخل حدود دولة ميانمار، وينطلق من مدينة بامو إلى الهند، ثم آسيا الوسطى، وأوربا[22].

ويعتبر هذا الطريق طريقا تجاريا، أما التبادل الثقافي عبره فيعتبر "منتجا ثانويا" فقط، حيث يتركز النشاط التجاري عبر هذا الطريق بين الأمم المختلفة، وقد كان هذا النشاط أسبق من نظيره عبر طريق الحرير الصحراوي.

وقد أطلق البعض على طريق الحرير الجنوبي الغربي اسم "طريق الطبول البرونزية" وذلك بسبب كثرة الطبول البرونزية في مناطق جنوب غرب الصين، كما سمي أيضا بـ "طريق خيول الشاي القديم"، وذلك بسبب كثرة نقل أوراق الشاي عبره باستخدام الخيول[23].

أما الطريق البحري فهو إلى الجنوب من الطرق البرية، ويمر في بحر الصين، والمحيط الهندي، وبحر العرب، والبحر الأحمر، ثم البحر الأبيض المتوسط، وقد كان السبب في البحث عن الطرق البحرية هو البحث عن طرق أكثر أمنا لأن الطرق البرية كانت مليئة بالأخطار.

وقد شكّل هذا الطريق ميدانا رئيسيا لاتصال الصين بالبلدان الغربية، وأقدم كتاب تاريخي ذكر الخطوط الملاحية البحرية كان كتاب (أسرة هان- فصل الجغرافيا)، وجاء فيه أن الخط البحري يبدأ من الحدود الجنوبية لأسرة هان الغربية إلى المحيط الهندي، وبعبارة أخرى أنه يبدأ من شمال فيتنام اليوم، والمقاطعة الصينية قوانغدونغ، وينطلق من ميناء قوانغشي، ويجتاز جنوب شرق آسيا ويصل إلى الساحل الشرقي الهندي وسيريلانكا. وفي أسرة هان الشرقية عرف الصينيون الطريق البحري من فارس إلى البحر الأحمر[24]. ومنه إلى البحر الأبيض المتوسط.

**3- <u>التبادل التجاري والثقافي عبر طريق الحرير</u>:**

يعتبر طريق الحرير أحد أعظم الطرق التجارية في العالم، وقد يكون كذلك أكثرها أهمية من حيث كونه طريقا لتبادل الأفكار والثقافات.

وسنشير في البداية إلى المبادلات التجارية للصين عبر طريق الحرير، حيث ومنذ اكتشاف علم الآثار في العصر الحديث تم اكتشاف أعدادا كبيرة من القطع الأثرية في كل من مناطق آسيا الوسطى، وغرب آسيا وجنوبها، وشمال شرقها، وجنوب شرقها، وقارة إفريقيا وغيرها من الأماكن، فعلى سبيل المثال تم اكتشاف قطع من الحرير، وكذلك قطع أثرية صينية، تعود إلى عهد أسرة هان الملكية ، وذلك في مناطق آسيا الوسطى، وغرب آسيا.

كما أنه بعد افتتاح طريق الحرير، كانت هناك إشارات في الأدب الغربي إلى الصين والمنتجات الصينية حيث وصل الحرير الصيني إلى الإمبراطورية الرومانية، وكان موضع تقدير عظيم جدا لدى السيدات الرومانيات، حتى قيل أن الطلب عليه قد تسبب في استنزاف الذهب والفضة من خزانة الإمبراطورية الرومانية[25]. وكان ذلك في حدود القرن الأول قبل الميلاد، حيث اعتُبر سلعة فاخرة تغري بجمالها ورونقها وغرابتها، و قد عرف رواجاً هائلاً، وصدرت مراسيم إمبراطورية لضبط سعره.

إلا أن احتكار الصين لإنتاج الحرير لا يعني أن هذا المنتوج انحصر في الإمبراطورية الصينية دون منازع فعلى العكس من ذلك، استُخدم الحرير هديةً في العلاقات الدبلوماسية وبلغت تجارته شأناً كبيراً بدءاً بالمناطق المتاخمة للصين مباشرة ووصولاً إلى المناطق البعيدة.

وبالإشارة إلى العلاقات التجارية الصينية العربية في هذه الفترة، فقد شمل طريق الحرير شبه الجزيرة العربية ودخلت هذه المنطقة في المعادلة الاقتصادية، حيث شملت الطرق البحرية، الخليج العربي وخليج عدن، والبحر الأحمر، وكلها حدود بحرية للعرب، وقد كانت الهند هي نقطة الالتقاء بينهما، حيث كانت سفن العرب تبحر إلى الهند بتجارتها، كما كانت السفن الصينية تصل كذلك إلى الهند، ويتم التبادل التجاري بينهما هناك[26].

وعموما فقد بات الحرير إحدى الصادرات الرئيسية للصين في عهد سلالة هان وقد عُثر بالفعل على أقمشة صينية من هذه الحقبة في مصر وشمال منغوليا ومواقع أخرى من العالم.

وعلى الرغم من أن الصين بدأت في الحصول على وسائل الترف والرفاهية، كالأحجار الكريمة، والعطور والعاج والجياد من البرابرة الخارجيين، فقد كانت حاجة البرابرة إلى الحرير أكبر من حاجة الصينيين إلى منتجات البرابرة عدا ، الجياد، وكان الحرير- الذي كان موضع تقدير عظيم في الخارج- ضمن مواد المقايضة في الصين، ويذكر التاريخ أن الحرير كان يستخدم في عصر الهان لدفع رواتب الجند، وعندما قام الإمبراطور هان -وو-تي بتفقد الجند على طول السور العظيم قام – طبقا لرواية سسوما تشيين- بتوزيع مليون لفة حرير كعطية سخية[27].

وفي الوقت نفسه ساعد طريق الحرير على حدوث تبادل من نوع مختلف، فكثير من الزهور والفواكه التي يعتبرها الغرب نباتات محلية موطنها الأصلي هو الصين وانتقلت إلى الغرب من خلال طريق الحرير. من هذه الزهور والفواكه الورد والأزاليا والكريزانيتم والفاوانيا والكاميليا والبرتقال والخوخ والكمثري. وكما أعطت الصين الغرب أخذت منه[28].

كما انتقلت المطرّزات والفخار، ومنتجات الفنون اليدوية الرائعة إلى أواسط آسيا وأوربا، وفي المقابل منتجات البلدان الأجنبية من الجوز والفول والجزر وخمور النبيذ[29].

وكانت الخيول والجمال ذات السنامين، وهي دعامة الحضارة في آسيا، قد استأنسها الإنسان لأول مرة في آسيا الوسطى، ثم ذهبت بعد ذلك إلى شرق آسيا وغربها عبر طريق الحرير والطريق المشابه له في الشمال وهو طريق السهوب الأوراسية[30].

ولم تقم قوافل الجمال الكبيرة على طريق الحرير القديم برحلة عبر القارة الأوراسية كاملة، حيث يتم حمل البضائع من محطة إلى أخرى بواسطة القوافل المختلفة، وتوجد مراكز التسوّق المزدهرة على طول الطريق في المحطات والواحات المختلفة حيث كانت القوافل تتوقف، وقد تم الإبقاء على الطريق مفتوحا وآمنا نسبيا من التعرض للهجوم.

وإذا ما عدنا إلى التبادل الثقافي والفكري عبر طريق الحرير في عهد أسرة هان ، فلا بد من الإشارة إلى أن هذا الطريق يعتبر من أعظم الطرق، وأهمها في التراث الحضاري العالمي الذي يبرز التواصل والتلاقي والتفاعل والتبادل الفكري والثقافي بين الشعوب.

وقد أشرنا إلى أن هذه الشبكات الواسعة من الطرق لم تحمل في طياتها السلع والبضائع الثمينة فحسب، وإنما أتاحت أيضاً تناقل المعارف والأفكار والثقافات والمعتقدات بفضل حركة الشعوب المستمرة واختلاطهم المتواصل مما أثر تأثيراً عميقاً في تاريخ شعوب المنطقة الآسيوية والأوروبية وحضاراتهم. فعلى هذا الطريق انتقلت بعض أهم الأفكار والتقنيات في العالم، كالكتابة والعجلة والنسيج والزراعة وركوب الخيل وغيرها، وكان للدين أيضا دور كبير على طول طريق الحرير.

هذا الطريق الذي تأثرت به المناطق الغربية أيما تأثر، حيث أصبحت الرموز الصينية هي اللغة المكتوبة الرسمية للمناطق الغربية، واتخذت كافة الكتب القديمة من الرموز الصينية أساسا في كتابتها، وتم كذلك استخدام الرموز الصينية في الكتابة على الأختام، وملابس الطبقات العليا، والأنصاب التذكارية الحجرية، والعملات، وتوضح هذه الاكتشافات انتقال الثقافة الصينية إلى المناطق الغربية وعلى الرغم من دخول الديانة البوذية الصين من خلال طريق الحرير، إلا أنها اندمجت بالثقافة الصينية، حيث تطورت الديانة البوذية المندمجة بالثقافة الكونفوشيوسية والمتصلة بالديانة الطاوية[31].

ويمثل مجيء البوذية أهم حدث في تاريخ التبادل الثقافي بين الصين والبلدان الأجنبية، كما يعد ذلك من الاندماج الثقافي الأكثر عمقا، الذي أثر في المجتمع الصيني، ودخلت البوذية الصين من خلال طريقين أولهما الطريق البري، من وسط آسيا وغرب آسيا، ثم الولوج إلى مقاطعة شينجيانغ في الصين والتغلغل في أراضيها في عهد الإمبراطور

مينغ دي في أسرة هان الشرقية، عن طريق الراهبان الهنديان جيا يماتنج، ولانفالان وآخرون، أما الطريق الآخر فهو الطريق البحري، ففي الأسر الجنوبية والشمالية تقريبا حضر إلى الصين كبار مترجمي الكتاب البوذي من خلال الطريق البحري لنشر الديانة البوذية[32].

وفي عام 105م قام "تساي لون" بتلخيص خبرات الشعب الصيني في صناعة الورق، واستخدام لحاء الأشجار، ومخلفات الكتان وشبكات الصيد كمواد في صناعة الورق، وحقق تقدما كبيرا في تقنية هذه الصناعة، حيث كان يتمتع بمهارة في معالجة المواد وغيرها من طرائق عملية صناعة الورق، واخترع نوعا من الورق يتميّز بالنوعية الجيّدة والثمن الزهيد، أطلق عليه ورق "الماركيز تساي" ، ويعد اختراع الورق حدثا مهما في تاريخ الثقافة العالمية، ولم يجسّد هذا الاختراع التطور الثقافي والاقتصادي في الصين آنذاك فحسب، بل اضطلع بدور في دفع التطور الثقافي وتعميمه بين جميع الدول في أنحاء العالم أيضا[33].

وقد بدأ الصين بإرسال سفراء إلى أقاصي الأرض وصولا إلى فارس، وتشير السجلات التاريخية الصينية إلى أن فارس كانت أمة عظيمة وكان شعبها يكتب على الرق بأحرف تمتد عبر الصفحات، فكانوا يرسمون صفوفا من الأحرف التي تمتد جانبيا على جلد خشن كي تكون بمثابة سجلات (فالصينيون يكتبون من أعلى لأسفل)، وروى سسوما تشيين أنه تم إرسال المزيد من السفارات إلى الهند وبارثيا وسوريا وكيلديا باستعمال خيول فيرغانا، حتى بلغ عدد هذه البعثات عشر بعثات في العام الواحد[34]. وكان أولئك الذين يتم ارسالهم يعودون إلى أرض الوطن بعد ثمان أو تسع سنوات، يتم خلالها تبادل الثقافات والأفكار عبر كل المدن والدول التي تتم زيارتها عبر طريق الحرير.

ولعل الموروث الأكثر وضوحا الذي تركته طرق الحرير هو دورها في تلاقي الثقافات والشعوب وتيسير المبادلات فيما بينها، فقد اضطر التجار على أرض الواقع إلى تعلم لغات وتقاليد البلدان التي سافروا عبرها لكي ينجحوا في عقد مفاوضاتهم وصفقاتهم. ولذلك كان التفاعل الثقافي جانباً حاسماً في خضم المبادلات المادية. كما كان هدف العديد من المسافرين هو المغامرة عبر هذه الطرق للدخول في عملية التبادل الفكري والثقافي التي كانت عامرة عبر طول طريق الحرير من الصين وحتى البحر الأبيض المتوسط. وشهدت هذه الطرق تبادلاً للمعارف العلمية والفنية والأدبية وحتى الدينية، فضلاً عن الحرف اليدوية والأدوات التقنية.

**خاتمة:**

من خلال دراستنا لموضوع أسرة هان الملكية ( 206 ق.م – 220م) ودورها في التبادل التجاري والثقافي عبر طريق الحرير إلى البحر الأبيض المتوسط.، ومن خلال اطلاعنا على بعض المراجع والدراسات التي تناولت الموضوع استطعنا أن نخرج بجملة من النتائج يمكننا أن ندرجها في النقاط التالية:

- يعود تأسيس طريق الحرير الصحراوي الذي يطلق عليه حاليا مصطلح "طريق الحرير" إلى أسرة هان الغربية التي شقّته رسميا، وذلك خلال الفترة ( 114 ق.م-127م)،ليعتبر طريقا سياسيا و "دبلوماسيا"، وفي ذلك الوقت كان كل من "التبادل الثقافي" و"الحراك التجاري " هما المنتجات الثانوية لأسرة هان.
- عندما استتبت الأوضاع الداخلية لأسرة هان الحاكمة(206 ق.م – 220 م) ، عملت على تنشيط السياسة الخارجية حيث يعتبر الإمبراطور هان- وو- تي الذي أرسل جيوشه نحو الغرب ليسيطر على طريق تجارة الحرير من أبرز حكام هذه الأسرة..
- مصدر معلوماتنا عن طريق الحرير تعود إلى علم الآثار في العصر الحديث، حيث اكتشفت أهم الطرق وهي: طريق المراعي المنغولية، وطريق الحرير الصحراوي، وطريق الحرير الجنوبي ، وطريق الحرير البحري.
- على الرغم من أن تسمية طريق الحرير تعود إلى صناعة الحرير ونقلها عبر هذا الطريق، إلا أن هذا الطريق قد عرف تبادلات تجارية أخرى لمختلف السلع من فخاريات ومطرزات وخيول ومنتجات زراعية من خضر وفواكه وأزهار وتوابل وغيرها .
- والأهم من كل هذا هو تبادل الثقافات والأفكار، حيث شهد هذا الطريق تبادلاً للمعارف العلمية والفنية والأدبية فضلاً عن الحرف اليدوية والأدوات التقنية، كما يعتبر طريق الحرير نافذة تواصل الصين مع العالم، من الشرق وصولا إلى عالم البحر الأبيض المتوسط مرورا بأهم حواضر العالم القديم في الهند وفارس والعراق وسوريا وبلاد العرب وصولا إلى الإمبراطورية الرومانية.

**الأشكال:**

الشكل 1: خريطة طريق الحرير

المصدر:
https://www.worldhistory.org/trans/ar/1-466/

**قائمة المراجع:**

- **الكتب:**

- أرنولد توينبي، تاريخ البشرية، ج1، تر، نقولا زيادة، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1985.
- اندريه ايمار، جانين اوبوايه، تاريخ الحضارات العام- الشرق واليونان القديمة-، مج1، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 2006.
- ايريك فرانك، ديفيد براونستون، طريق الحرير، تر، أحمد محمود، مطابع الأهرام كورنيش النيل، القاهرة، 1986.
- تشنغ يوي تشن، لمحة عن الثقافة في الصين، تر، عبد العزيز حمدي عبد العزيز، ط1، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، 2014.
- جين لونغ وآخرون، على طريق الحرير، تاريخ التجارة بين الصين والعالم القديم، تر، مروة السيد محمد، دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات، الجيزة، 2019.
- خه جاو وو، وآخرون، تاريخ تطور الفكر الصيني، تر، عبد العزيز حمدي عبد العزيز، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004.
- فراس السواح، دين الإنسان، بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، ط4، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 2002.
- مجموعة من المؤلفين، تاريخ الصين، ج1، مجلة بناء الصين، بكين، 1986.
- محمد الجيزاوي، صناعو الوعي الاقتصادي، ط1، لندن، 2018.
- نعيم فرح، تاريخ حضارات العالم القديم وما قبل التاريخ، سياسيا- اقتصاديا- اجتماعيا- ثقافيا، دمشق، 1975.
- هيلدا هوخام، تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين، تر، أشرف محمد كيلاني، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002.
- ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة، الشرق الأقصى الصين، تر، محمد بدران، ج4، مج1، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت.

- **مواقع الانترنيت:**

13- https://www.worldhistory.org/trans/ar/1-466.

**الهوامش:**

[1] **أسرة تشين**: تعود هذه الأسرة إلى تشين شيه هوانغ (246-210ق.م)، الذي أتم أعمال أسلافه في توحيد سائر أجزاء البلاد الحساسة، حيث ولد تشن سنة 259 ق.م، ولم يكن له من العمر سوى 13 سنة عندما ارتقى للعرش، ولكن منذ أن بلغ التاسعة والعشرين أخذ يحرز الانتصار تلو الآخر على منافسيه، وهكذا منذ سنة 230 إلى سنة 221 ق.م كرّس نفسه للحرب، وبعد أن غدا سيّدا للصين المعروفة آنذاك اتخذ لقب امبراطور وسعى لتحقيق وحدة بلاده السياسية والاجتماعية والفكرية. للمزيد انظر: اندريه ايمار، جانين اوبوايه، تاريخ الحضارات العام- الشرق واليونان القديمة-، مج1، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 2006، ص ص630-631.

[2] المرجع نفسه، ص631.

[3] أرنولد توينبي، تاريخ البشرية، ج1، تر، نقولا زيادة، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1985، ص307.

[4] هيلدا هوخام، تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين، تر، أشرف محمد كيلاني، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002، ص71.

[5] هيلدا هوخام، المرجع السابق، ص71.

[6] **المذهب الطاوي:** أو التاوي يعود هذا المذهب إلى الحكيم لاو – تسو lau Tzu الذي عاش حياة مديدة جدا فيما بين القرن السادس وأواسط القرن الخامس قبل الميلاد، وانه عاصر كونفوشيوس الأصغر منه سنا، ووضع تعاليمه في الكتاب الشهير المعروف بعنوان Tao Te Ching أي رسالة في التاو وقوته، وهو

الكتاب الذي بنيت عليه الفلسفة التاوية والديانة التاوية. فالطاوية هي اصطلاح عام يدل من جهة على النظام الفكري الذي نشأ بشكل تلقائي في الصين، والذي يجعل من التاو مركزا لكل مجالات الفكر والحياة. للمزيد انظر: فراس السواح، دين الإنسان، بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، ط4، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 2002، ص243 وما بعدها.

[7] **الكونفوشيوسية:** يرى كونفوشيوس، الذي تنسب له الديانة الكونفوشيوسية وهو أكثر العقول تأثيرا في الصين القديمة، أن إرادة السماء إنما تعمل من خلال عناية متضمنة في صلب نظام الطبيعة، ويقابل هذا النظام الطبيعي عنده نظام آخر يسود على المستوى الإنساني المجتمعي، هو القانون الأخلاقي. من هنا فإن اسجام الفرد مع إرادة السماء الفاعلة في الطبيعة لن يتحقق إلا بمراعاة النظام الأخلاقي. انظر، المرجع نفسه، ص237.

8 خه جاو وو، وآخرون، تاريخ تطور الفكر الصيني، تر، عبد العزيز حمدي عبد العزيز، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004، ص240.

[9] خه جاو وو، وآخرون، المرجع السابق، ص242.

[10] أرنولد توينبي، المرجع السابق، ص209.

[11] نعيم فرح، تاريخ حضارات العالم القديم وما قبل التاريخ، سياسيا- اقتصاديا- اجتماعيا- ثقافيا، دمشق، 1975، ص266.

[12] المرجع نفسه، ص266.

[13] نعيم فرح، المرجع السابق، ص266.

[14] المرجع نفسه، ص267.

[15] اندريه ايمار، جانين اوبوايه، المرجع السابق، ص632.

[16] ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة، الشرق الأقصى الصين، تر، محمد بدران، ج4، مج1، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، ص ص107-108.

[17] جين لونغ وآخرون، على طريق الحرير، تاريخ التجارة بين الصين والعالم القديم، تر، مروة السيد محمد، دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات، الجيزة، 2019، ص12.

[18] ايريك فرانك، ديفيد براونستون، طريق الحرير، تر، أحمد محمود، مطابع الأهرام كورنيش النيل، القاهرة، 1986، ص07.

[19] محمد الجيزاوي، صناعة الوعي الاقتصادي، ط1، لندن، 2018، ص ص12-13.

[20] جين لونغ وآخرون، المرجع السابق، ص13.

[21] **جانغ تشيان:** وجّه الإمبراطور هان –وو- تي عام 138 ق.م وفدا برئاسة جانغ تشيان إلى بلده دايو يتشي جنوب غرب هضبة البامير لاستنهاض أهلها ضد شيونغنو (الهون) ، وقد وقع جانغ تشيان وأعضاء وفده في قبضة القبيلة عندما مرّوا بأراضيها، وحجزوا هناك 10 سنوات، وتمكنوا من الهرب، ثم استأنفوا سيرهم نحو الغرب، وبعد عودته روى جانغ تشيان للإمبراطور ما رأى في هذه الرحلة، وأفضى إليه برغبة أبناء تلك الأقاليم في إقامة الصلات مع أسرة الهان. وقد أرسله ثانية إلى المناطق الغربية عام 119 ق.م، حيث تحرّك مع وفد من حوالي 300، فتجولوا في الدويلات القائمة هناك، وعرّفوا أبناءها بمنتجات أسرة الهان التي كانوا يحملونها معهم، ثم عادوا حاملين رسائل وهدايا من أمراء تلك الدويلات، وكانت هذه الجولة بداية تطور جديد في العلاقات الاقتصادية والثقافية والتجارية بين أسرة هان ودويلات غرب الصين. للمزيد انظر: مجموعة من المؤلفين، تاريخ الصين، ج1، مجلة بناء الصين، بكين، 1986، ص42. وكذلك: هيلدا هوخام، المرجع السابق، ص ص93-94.

[22] جين لونغ وآخرون، المرجع السابق، ص15.

[23] المرجع نفسه، ص 16.

[24] تشنغ يوي تشن، لمحة عن الثقافة في الصين، تر، عبد العزيز حمدي عبد العزيز، ط1، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، 2014، ص697.

[25] هيلدا هوخام، المرجع السابق، ص96.

[26] محمد الجيزاوي، المرجع السابق، ص14.

[27] هيلدا هوخام، المرجع السابق، ص97.

[28] ايريك فرانك، ديفيد براونستون، المرجع السابق، ص14.

[29] تشنغ يوي تشن، المرجع السابق، ص697.

[30] ايريك فرانك، ديفيد براونستون، المرجع السابق، ص14.

[31] جين لونغ وآخرون، المرجع السابق، ص42.

[32] تشنغ يوي تشن، المرجع السابق، ص699.

[33] خه جاو وو، وآخرون، المرجع السابق، ص ص292-293.

[34] هيلدا هوخام، المرجع السابق، ص96.